"أنصار السنة" تهدد السويداء: عودة خطاب التكفير الطائفي!

واصل حميدة | الأربعاء 2025/07/16

"أنصار السنة" تستغل اشتباكات السويداء لممارسة "التطهير العقائدي" (Getty)

مشاركة عبر

حجم الخط

في لحظة مشبعة بالفوضى والانقسام، دخلت جماعة "سرايا أنصار السنة" على خط التصعيد جنوب سوريا، مهددةً طائفة الموحدين الدروز في السويداء بما وصفته بـ"التطهير العقائدي". بيان الجماعة، الذي صدر قبل يومين، يعيد إلى الواجهة خطاب التكفير الطائفي الذي لطالما كان جزءاً من إرث التنظيمات الجهادية في المنطقة، لكن توقيته ولغته يطرحان تساؤلات تتجاوز النص نفسه: لماذا الآن؟ ومن يقف خلف هذه الجماعة التي بدأت تتحول من ظل رقمي إلى تهديد فعلي؟

البيان الأخير: رسالة دموية في لحظة انهيار

في بيان وقعه الشيخ أبو عائشة الشامي، قائد "أنصار السنة"، توعدت الجماعة الدروز في السويداء صراحة بعمليات قتل وتنكيل، مستحضرة سجلها السابق في استهداف العلويين والمسيحيين.

قال البيان "إن ما فعله مجاهدونا قبل أشهرٍ من قتلٍ وتنكيلٍ وتشريدٍ في صفوف الطائفة النصيرية، سنعيده -بإذن الله- في الأيام القادمة في ديار الكافرين من أصحاب الديانة الدرزية في أرض السويداء. وليعلموا أن يدنا ستبلغهم، حيث ظنوا أنهم في مأمن. والله وليّ الأمر، وهو نعم النصير".

هذا التهديد هو الثاني من نوعه منذ تبني الجماعة لتفجير كنيسة مار إلياس في حي الدويلعة بدمشق في شباط/فبراير الماضي، والذي أودى بحياة 25 شخصاً، في أكبر هجوم طائفي يستهدف المسيحيين في سوريا منذ سنوات.

لكن لغة البيان الأخير مختلفة؛ فهي أكثر تصعيداً، وتوجه رسائل مزدوجة، ليس فقط لطائفة الموحدين، بل للمشهد السوري بأكمله، في ظل حالة الفراغ الأمني والسياسي التي تعصف بالجنوب السوري.

خلفيات التصعيد في السويداء.. لماذا الآن؟

السويداء اليوم تعيش واحدة من أخطر لحظات تاريخها الحديث. خلال الأيام الماضية، تحولت المدينة التي كانت تُعرف بمنأى نسبي عن العنف المباشر إلى ساحة صراع مفتوحة بين مجموعات درزية مسلحة وعشائر بدوية. الاشتباكات، التي اندلعت فجأة، تسببت في مقتل أكثر من 30 شخصاً، بينهم

بعضها محسوب على الشيخ حكمت الهجري والمجلس العسكري المحلي. ووصلت الأمور إلى حد التنكيل بجثث قتلى الجيش والأمن، في مشهد أعاد إلى الأذهان لحظات الانهيار الأخلاقي والأمني التي عرفتها البلاد في فترات سابقة من الحرب.

في موازاة ذلك، انتشرت تسجيلات مصورة تُظهر إساءات لرموز درزية وطنية مثل سلطان باشا الأطرش، ما عمّق الشرخ داخل المجتمع وأشعل الغضب، وخلق بيئة مشحونة بالكراهية. هذه الأجواء هي التربة الخصبة التي تنتعش فيها الجماعات المتشددة مثل "أنصار السنة"، فالفوضى والاقتتال الطائفي هما الأكسجين الذي يغذي خطاباتها.

من هم "سرايا أنصار السنة"؟

تأسست "سرايا أنصار السنة" مطلع عام 2025 بقيادة أبو عائشة الشامي، وهو قيادي سابق في "هيئة تحرير الشام"، انشق عنها بسبب ما اعتبره "تساهلًا مع الطوائف الأخرى". الجماعة أعلنت عن نفسها لأول مرة عندما تبنت تفجير كنيسة مار إلياس في حي الدويلعة بدمشق. منذ ذلك الحين، بدأ اسمها يتردد في المشهد السوري كقوة جهادية جديدة تحمل مشروعاً تكفيرياً صارماً.

لكن هل نحن فعلًا أمام تنظيم جهادي تقليدي؟ أم حالة في طور التشكّل؟

الصحافي والباحث في قضايا الجماعات الجهادية صهيب عنجريني يجيب على هذا السؤال: "نحن لا نتحدث عن تنظيم متماسك أو عن بنية واضحة. لا توجد تراتبية معروفة ولا آليات اتخاذ قرار معلنة. الجماعة لا تزال في طور التكوّن، وهي أقرب إلى حالة اعتباطية يحاول البعض الآن تنظيمها".

بحسب عنجريني، الجماعة تعتمد في نشاطها على ما يعرف بالذئاب المنفردة. أي أنها تشجع المتعاطفين على تنفيذ عمليات فردية، ثم تتبنى هذه العمليات إعلامياً، حتى لو لم يكن المنفذون مرتبطين بها تنظيمياً. قنواتها على "تلغرام" تخصص بوتات تواصل لتلقي صور العمليات كي تُعلن عنها لاحقاً.

أيديولوجيا مشوهة أم محاولة لمحاكاة "داعش"؟

تحليل البيانات الصادرة عن "أنصار السنة" يظهر تأثيراً واضحاً لتنظيم "داعش". الاستشهاد بكلمات أبو محمد العدناني – المتحدث السابق باسم "داعش"،

للسيطرة على الجغرافيا. يبدو أن هدفها الأساسي هو حجز مقعد في مستقبل الفوضى السورية. إذا استمرت الانفلاتات الأمنية لفترة أطول، قد تتحول هذه الحالة إلى تنظيم فعلي له مكانه في المشهد".

هل لديهم قوة عسكرية فعلية؟

التقديرات تشير إلى أن الجماعة تمتلك نحو 1600 مقاتل موزعين في مناطق متفرقة من سوريا، في حماة، وحمص، وبعض جبال الساحل، إضافة إلى نشاط متزايد في الجنوب. مع ذلك، لا توجد أدلة ميدانية قوية على تنفيذهم عمليات كبرى سوى تفجير كنيسة مار إلياس.

تبنيهم للحرائق التي اندلعت في الساحل السوري سابقاً، أو لمجازر أخرى، لا يعني بالضرورة تورطهم الفعلي فيها. بحسب عنجريني: "هم أحياناً يتبنون أحداثاً لا علاقة لهم بها لتعزيز حضورهم الإعلامي. حتى تبنيهم حرائق الساحل كان مثار سخرية حين نشروا بعدها منشوراً يهاجم النظام لأنه دمّر البيئة وأحرق الغابات، ما يكشف تناقضاً في خطابهم".

ماذا عن بيان السويداء؟

التهديد الموجه إلى الدروز في السويداء جاء في لحظة دقيقة. الاشتباكات الداخلية، تدخّل الجيش، النزوح الجماعي، والانهيار المجتمعي، كلها وفرت مناخاً خصباً لتصعيد الخطاب الطائفي. الجماعة تحاول استثمار هذا الوضع لتثبيت حضورها كلاعب على الساحة.

السؤال الذي يطرحه كثيرون اليوم: هل "أنصار السنة" مجرد واجهة إعلامية أو كيان وظيفي؟ أم هي جماعة في طريقها للتحول إلى تنظيم فعلي يهدد مستقبل الدولة السورية الجديدة؟

الواقع، كما يراه الخبراء، أن الإجابة قد تكون الاثنتين معاً. فالجماعة قد تكون في الوقت ذاته كياناً هشاً إعلامياً يستثمر الفوضى، لكنها أيضاً تمتلك القابلية لأن تتحول إلى تهديد حقيقي إذا استمرت بيئة الانهيار الأمني والسياسي.

الدولة الجديدة أمام اختبار وجودي

السلطة السورية الانتقالية، بقيادة الرئيس أحمد الشرع، تجد نفسها أمام

في السويداء، الوضع أكثر تعقيداً. الدروز هم جزء أساسي من النسيج السوري، ومن الصعب تخيّل دولة مستقرة بدون توافق اجتماعي يشملهم. لكن الخطابات التكفيرية التي تطلقها "أنصار السنة" تهدد هذا التوازن، وتفتح الباب أمام صراعات قد لا تنتهي بسهولة.

خطر في طور التشكل

في ظل غياب استراتيجية واضحة لمواجهة هذا النوع من الجماعات، يبقى السؤال الأهم معلقاً: هل تستطيع الدولة الانتقالية إخماد هذا الخطر في مهده؟ أم أن بيانات "أنصار السنة" ما هي إلا بداية لمسلسل جديد من الفوضى الدموية قد يعيد سوريا إلى أسوأ كوابيسها؟ الوقت وحده كفيل بالإجابة. لكن المؤكد أن الجنوب السوري اليوم يقف على حافة انفجار جديد، وربما يكون بيان "أنصار السنة" أحد مؤشراته الأكثر خطورة.

الأكثر قراءة

نصائح سعودية لدمشق: احتواء الأقليات والإصلاح السياسي

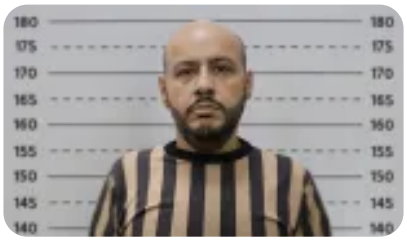

سوريا: القبض على أخطر مهربي المخدرات بالتنسيق مع تركيا

الهدوء يعود للسويداء: الأمن يستعيد السيطرة على تل حديد